



نَقْدُ الْبُرْدَةِ

عبد البديع السيّد صقر



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

نَفْسُ الْبِرَّةِ

عبد البديع السيّد صقر

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بُرَّةُ الْمَلِجِ

المباركة

ويليها

الْقَصِيدَةُ الْمَصْرُورَةُ وَالْقَصِيدَةُ الْحَمْدِيَّةُ

لِلْإِمَامِ الْكَامِلِ وَالْعَالِمِ الْعَامِلِ

شَرَفُكَ يَا سَيِّدَ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا بِوَصِيهِ



المكتبة الثمانيّة

مبديوت - لبنان

ص.ب : ٨٧٤٧

تنبيه مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخُلُوفِ كُلِّهِمْ

هذا البيت ينبغي قراءته بعد كل بيت من أبيات هذه القصيدة الشريفة .
وذلك لما يروى أن الإمام الغزالي كان يقرأها كل ليلة ليرى النبي ﷺ في منامه
فلم تيسر له الرؤيا فشكا ذلك إلى شيخ كامل فقال له : إن لها سرها . وهو أن تصلي
بالصلاة التي كان يصلي بها الإمام البوصري رضي الله عنه على النبي ﷺ وهو قوله :
مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا . * على حبيبك خير الخلق كلهم

عقب كل بيت من أبيات القصيدة ، وإن شئت ذلك على القارئ فيكفي بترديده بعد
كل فصل من فصولها . وحكمه اختيار هذا أن الإمام البوصري رضي الله عنه أنشد
هذه القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه حتى أتى إلى قوله :
” فبلغ العلم فيه أنه بشر ” ولم يستطع تكميل البيت فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : اقرأ فقال رضي الله عنه : إني لم أوفق للبصاع الثاني فقال له عليه
الصلاة : سَلَامٌ قُلْ : ” وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ ”

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



افضل الاول في الغزل وشكوى الغرام



أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
مَرَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ ثُلُقَاءٍ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ أَضْمٍ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَأُ هَمَاتًا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ أَسْتَفِقُ بِرَامٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى على الناس حين من الدهر ضيعوا فيه كثيراً من معالم هذا الدين .
فإن جاءت هذه الرسالة الخاتمة والسهام مصوبة إليها — من أعدائها الخارجيين ، ومن التابعين الغافلين ..
والمسلم طيب القلب ؛ سريع التصديق ، يعطى الثقة لكل من ظهر عليه فضل علم أو إتقان عبادة ، أو روعة مظهر ومهابة . ومن خلال هذه الحقيقة راجت علوم ضاربة ، وارتفعت شخصيات غير صالحة ، وأغدقت ألقاب الفضيلة والولاية والحجة على أقوام لا يستحقونها وربما استحقوا نقيضها .

ومنذ ضاعت معالم الخلافة الراشدة آلت ولاية الأمر إلى طامع في دنيا ، أو حريص على سلطان ، أو عميل لأولئك — إلا من عصم الله وقليل ما هم . وحقائق الإسلام — تبعاً لذلك — لا تكاد تجد من يحكم لها أو يذود عنها بسلطان مانع .. فنشأت الفرق والجماعات ، وكثرت السبل واتبعها خلائق لا تحصى .

وهذه محاولة يسيرة — رجونا بها أن نقول كلمة حق تستند إلى الأصل الأصيل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. لا نعبر فيها عن رأى جماعة معينة ولا ارتباط بمذهب معين .
نسأل الله أن يتقبل ... والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

تصدير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى اله وصحبه ومن تبع هداه . « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب » .

هذا كلام في نقد قصيدة البردة التي ألفها الشيخ محمد البوصيري حول ٦٨٠ هـ الموافق ١٢٨٠ الميلادية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دونت هذا البحث جواباً على سؤال وجهه إليّ أحد الطلبة الجامعيين حيث دارت بيني وبينه المناقشة الآتية :

حوار مع طالب جامعي :

قال الفتى : ما رأيك في قصيدة الإمام البوصيري التي تسمى (البردة) ؟
قلت : جيّدة – ولكن عليها مآخذ شرعية .

قال الفتى : لكن الناس يحبونها ويقرءونها في المساجد ولم نسمع اعتراضاً عليها .

قلت : إن الناس يحبون أشياء كثيرة – وإن كانت لا تنطبق على أصول الشرع .

قال : اضرب لي مثلاً لما تقول !

قلت : خذ مثلاً المعلقات السبع والعشر التي قالها فطما حل الشعراء

في الجاهلية فإنها تحتوي على معان فاسدة ، فبعضهم يفتخر بالفاحشة ويصفها ، وبعضهم يفتخر بالظلم والعدوان إلى غير ذلك ، ومع ذلك فقد ظلت معلقة على جدران الكعبة سنين طويلة ... ولما جاء الإسلام هدم الأفكار الجاهلية لكن ظلّ العرب يرددونها وهي تدرس إلى الآن في المعاهد والجامعات وقد أعيد طبعها وشرحها مئات المرات وأحياناً بإشراف بعض الحكومات .

وإن كثيراً من الأغاني والروايات الضارة ترددها أجهزة الإعلام صباح مساء ، وهي تنطوي على ما لا يجوز شرعاً ولا أدباً ولا ذوقاً ، وإذا جئت تعترض على مثل هذه الأشياء قيل لك إن فيها بعض الموعظة والحكمة — أو أنها من التحف الأدبية .

قال الفقى : ولماذا لم يتعرض العلماء لنقد قصائد البوصيرى لتوضيح ما عسى أن يكون فيها من مخالفات ؟

قلت : إن الدخول في هذا الأمر من الصعوبة بمكان لأسباب شتى .

منها : أن كثيراً من الناس قد فتنوا بهذه القصيدة التي ترجمت إلى عدة لغات عالمية .. وصار بعض الناس يتعبدون بتلاوتها كما يتعبدون بتلاوة القرآن الكريم ، كما عملت لها بعض الدول مشاهد سينمائية وجعلت تصدرها لمختلف الأقطار واشترك في إخراجها مئات من الفنانين والفنانات .

ومنها : أن علماء المسلمين (إلا النادر منهم) قد مروا عليها ولم يكتبوا في نقدها كتاباً متداولاً كما ذكرت ، مما جعل عامة الناس يأخذون ما ورد فيها مأخذ التصديق ولا يقبلون لها نقداً .

ومنها : أن موضوع القصيدة وأخواتها هو مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكل من يتعرض لموضوعها لا يسلم من الاتهام في محبته أو في ولائه للرسول الكريم .

ومن ذلك : أن القصيدة مشتملة على حكم ونصائح جيّدة إلى جوار أنها تحفة أدبيّة لغويّة لما فيها من النكت البلاغية وفنون البيان والبديع والمحسنات اللفظية ، ومثالاً لذلك البيت القائل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

ولكن ذلك كلّه لا يمنع أي مسلم سليم العقيدة من أن يعترض على بعض ما جاء فيها ممّا يطعن في صحّة التوحيد ويصادم آيات القرآن الكريم ، الأمر الذى حمل بعض المسلمين على اتهام مؤلفها بالزندقة أو بالكفر . وإن كنت أنا لا أرى هذا الرأي .. فقصاص الرجل تفيض بالإخلاص والمحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نقول « أخطأ الرجل » .. فكلنا نخطئ ويصيب وكل انسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وليس أحد من العباد فوق مستوى النقد ، لكن المهم أن يكون الحكم على الأشياء مستنداً إلى حجج قويّة من المصدرين الأساسيين للمعرفة والأحكام عند المسلمين وهما كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقبل أن نتعرض للقصيدة ذاتها نحبّ :

أن نذكر شيئاً عن المؤلف والعصر الذي عاش فيه ،
ونقدّم نبذة عن التصوف ،
ثم نذكر بعض المبادئ الأساسية في فهم الدين الإسلامي ليكون الوزن في
ضوء هذه المعلومات .

تعريف بالشاعر

لقد ولد البوصيري ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) أى في عهد الدولة الأيوبية
واسمه محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي وينسب إلى بلدة «أبوصير»
من أعمال بني يوسف بمصر لأن أمة منها ، وأبوه من بلاد المغرب —
وكان البوصيري معدوداً من الشعراء المجيدين يعالج فنّ الكتابة والشعر
ببلييس من أعمال محافظة الشرقية .

ومن أشهر قصائده « البردة » التي مطلعها : « أمن تذكر جيران
بذي سلم » والهمزية التي مطلعها « كيف ترقى رقيك الأنبياء » .
ومعارضة قصيدة « بانت سعاد » التي مطلعها « الى متى أنت باللذات
مشغول » .

وتوفى المؤلف ٦٩٦ هـ الموافق ١٢٩٦ م . (أي قبل نحو سبعة قرون)
ويتضح من هذه الترجمة الواردة في الكتب المعتمدة أن الرجل كان
معدوداً في الشعراء وليس في الفقهاء ولا العلماء — كما أن انحداره من
عائلة مغربيّة يعطى احتمالاً بأن له ارتباطاً بالفاطميين . شأنه في ذلك

شأن السيد احمد البدوى والشعرانى ، كما أن مصر في هذه الأيام كانت في قمة التأثر بالصوفية واتجاهات العبيدين الفاطميين ، وهذه الفترة من التاريخ الإسلامى كان لها تأثير مهم جداً على مصر خاصة وعلى باقى بلاد الإسلام عامّة إذ كانوا ينقلون دائماً عن مصر ويعتبرونها من أهم مراكز الثقافة الدينيّة .

وقد نجح الأيوبيون في القضاء على الدولة الفاطميّة سياسياً وغيروا منهج الدراسة في المدارس الكبرى — ولكنهم لم يستطيعوا أن يقضوا تماماً على الأفكار المسيطرة على أذهان الشعب في مصر وجاراتها بسبب استناد تلك الأفكار إلى عاطفة الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم متمثلاً في آل بيته — فقد دأب الفاطميون خلال قرنين من الزمان على تعميق هذه العاطفة في النفوس باعتبارها كانت من الدعائم الرئيسيّة في تثبيت أقدام الغزاة القادمين من المغرب .

إن الدعوة الفاطميّة ساعدت على انتشار الأفكار الصوفيّة لأنها تخدم أهدافها وتتمشى مع سياستها .. فازدهر التصوف في هذه الفترة ولم يستطع الحكّام الأيوبيون أن يحاربوا الصوفيّة كما حاربوا الفاطميّة — بل تظاهروا بأنهم منهم — وتقربوا إليهم وكانوا — في سبيل كسب عواطف الجماهير يتعمّدون اظهار محبّتهم لهم وتوقيرهم .

نبذة عن التصوف :

وقد يسأل سائل عن الصوفية باعتبارها من الاتجاهات الفكرية والفلسفية أو العبادية في الإسلام .. وهذا بحث طويل لا مجال لإستكماله في هذه العجالة . لكننا نكتفي بإيراد المعلومات الآتية :

أولاً : لم يذكر القرآن الكريم ولا الرسول العظيم ولا أصحابه كلمة التصوف ولم يُعرف أن أحداً منهم سلك مسلك الصوفية المعروف ولم يتحدثوا عن الولايات ولا الكرامات (رغم أن الكرامات قد حدثت للصحابة بالفعل)^(١) ولا تلك المعتقدات الشائعة اليوم — وعن هؤلاء يؤخذ الدين التطبيقي الحقيقي .

ثانياً : كان التصوف موجوداً قبل الإسلام بآلاف السنين فقد نشأ عند مشركي اليونان باسم (صوفيا) وهي الحكمة وعند مشركي الهند والصين والفرس وكذلك ظهر في اليهودية والنصرانية وهو موجود عند هذه الفرق إلى يومنا هذا وكلمة صوفي موجودة في اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية .

وكان انتقال هذه النحلة إلى الإسلام في الدولة العباسية مع عهد الترجمة والفلسفة الذي أدى إلى اختلاط الفكر الإسلامي مع غيره من الثقافات الوضعية .

(١) راجع باب كرامات الأولياء وفضلهم — كتاب رياض الصالحين للنووي — طبع مؤسسة الرسالة - ص ٤١٤ .

ثالثاً : إن الله قد غاب الغلو في الرهبانية بقوله « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْهَا حق رعايتها فَأَتَيْنَا الَّذِينَ أَمْتُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » (١) فحكم على أغلبية هؤلاء بأنهم من الفاسقين .

رابعاً : إن بعض قدامى الصوفية قد عرفوا بالزندقة وآتهموا بالكفر وحوكموا من أجل ذلك محاكمات شتى انتهت ببعضهم إلى القتل بتهمة الارتداد عن الإسلام بسبب سلوكهم المنحرف وتركهم لفرائض الاسلام، وادعاء بعضهم النبوة والألوهية ، ومقالاتهم الشاذة بأنهم مطلعون على الغيب أو قوهم أن الله حلّ في أجسامهم أو في أجسام غيرهم أو قوهم أنهم شفعاء للناس عند الله أو تعظيمهم للكافرين وأديانهم أو تكذيبهم لصريح القرآن إلى غير ذلك ...

خامساً : ولقد ألّفت كتب كثيرة في صلة التصوف بالمذاهب الباطنية والرافضة وأنه يتفق معهم في أمور كثيرة كالقول بأن للدين ظاهراً وباطناً ، والغلو في آل البيت وتمجيد بعض القبور ، وتقديم النذور والقرايين لها ، والقول بفكرة وراثه العلم والحكم والطريقة ، والقول بتأويل الآيات والأحاديث ، وإخراجها عن المراد منها والانقياد للمشايخ دون مناقشة ، واعتزال الجهاد بالنفس في سبيل الله وإدخال البدع في الدين إلى غير ذلك .

(١) سورة الحديد والمعنى :

الرهبانية : هي اعتزال الدنيا لأجل العبادة .

إلا ابتغاء رضوان الله : إلا لتكون وسيلة للعمل الصالح .

فما رَعَوْهَا حق رعايتها : أى أنهم حولوا الوسيلة إلى غاية وبذلك تركوا العمل النافع الإيجابى الذى هو أجدى على المجتمع .

ومن الحق أن نقرر أن بعض الذين اشتهروا بأنهم « صوفية » أو بعض الذين وصفهم التاريخ بهذه الصفة — بريئون من هذا الذي ذكرنا « عن الصوفية — بوجه عام ، وليسوا على هذه الشاكلة أو لا يعلمون شيئاً عن تلك العلاقات ولا علم لهم بذلك التاريخ ، إنما أخذوا منه فكرة الزهد والتقوى والعناية بتربية الروح .

كما أن بعض الزهاد الذين وُصفوا بأنهم « صوفية »^(١) قاموا بأدوار محمودة في الجهاد في سبيل الله ، فقد قامت السنوسية بحملات ضارية لمقاومة التبشير النصراني في أفريقية ، وقام الزهاد في الشام بقيادة أحمد ابن تيمية بمقاومة حملات التتار على بلاد الشام ، وقام الزهاد بقيادة صلاح الدين الأيوبي بمقاومة الحرب الصليبية خلال أعوام طويلة في فلسطين ومصر .

وقام اتباع المهدي بمقاومة الإستعمار في السودان . ولا ينكر أحد أن كثيراً من مشايخ الصوفية في أنحاء العالم — كانت ولا زالت — بيوتهم مفتوحة للغرباء وعابري السبيل ، وأن لهم هيبة وسمتاً إسلامياً يعين على هداية بعض المنحرفين بل والجرمين حتى يستقيموا على أمر الله ، وأنهم يوفرون جَوْاً من الأخوة في الله بين العابدين المسلمين .

(١) نقول : « وصفوا بأنهم صوفية » لأن كثيراً من هؤلاء المجاهدين لم يكن صوفياً بالمعنى الدقيق — إنما قبلوا هذه الصفة أما لأنها سمة أهل الخير في ذلك العصر أو سترأ لأنفسهم في خصم الناس أو لأى سبب آخر كما يحدث لبعض الناس في هذا العصر — ودليلنا على ذلك مما وقع بينهم وبين الصوفية من الخلاف في زمانهم ، وما ثبت من اعتزال شيوخ الصوفية للجهاد ودعوة أتباعهم لذلك في أقطار ومناسبات لا تحصى عدداً ، ولا يتسع لها هذا المقام .

وهؤلاء يستحقون منا الحب في الله والتقدير العادل .. إذا لم تبد من أحدهم مخالفة أو خرافة .. لكن يؤخذ حتى على المعتدلين : التمسك بهذه التسمية التي غلبت عليها الشبهة . كما أنهم يؤخذون أيضاً لتقصيرهم في تحقيق التوحيد الصحيح وترك الأمر بالمعروف ، وكذا الانقياد التام لمشايخ لا ينطبق سلوكهم ولا أفكارهم على أصول الإسلام . وكذا التمسك بنظريات خطيرة خاطئة من ناحية الاعتقاد – والله أعلم .

قال الفتى : وما هي المبادئ الأساسية في فهم الإسلام ؟

إن أتباع المنهج الصحيح للوصول إلى المعرفة يعصم الإنسان من الزلل – فكم من عابد قضى عمراً طويلاً يمارس عبادة غير مقبولة – وهذا الذي من أجله قال الرسول صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(١) والمقصود هو العلم الذي يعصم من الانحراف والضلال .

فمن هذه المبادئ :

أن مصدر المعرفة الإسلامية والأحكام هو التقل أي الكتاب المنقول إلينا والمسلم بصحته ، ثم السنة الصحيحة ... وحتى الذين قبلوا إضافة (الإجماع والقياس) قيدوهما بحدود الكتاب والسنة أيضاً .

فالبحوث الفلسفية العقلية : ليست مصدراً من مصادر الشريعة ، وإن كان العقل ضرورياً لفهم الأحكام في حدود الكتاب والسنة .

(١) رواه ابن ماجه .

والرؤى والأحلام : ليست مصدراً من مصادر الشريعة — لكنها مجرد مبشرات تصدق أحياناً ولا تصدق أحياناً أخرى ، وفيما عدا رؤى الأنبياء فلا يجوز لمسلم أن يبنى عليها عملاً شرعياً .

وآراء العلماء والأئمة والمشايع : ليست مصدراً من مصادر الشريعة . وإنما يكون وزنها واحترامها بقدر إستنادها إلى الكتاب والسنة .

والتقليد الكامل واتباع الموروثات عن الآباء والمشايع السابقين ، وكذا الكتب الجديدة والقديمة كلها ليست حجّة ولا احترام لها إلا بمقدار التزامها بالأخذ من الكتاب والسنة أيضاً .

وظهور الكرامات والبركات وكثرة الصدقات وإتقان العبادات كل ذلك ليس مبرراً لقبول الآراء — وإنما هي أمور تخص أصحابها وحدهم وحسابهم عند الله ، ولا شأن لأحد بذلك ولا يجوز أن يتاجر أحد بهذه الظواهر فكل قول نسمعه نسأل معه عن الدليل الشرعي وإلا فمن حقنا أن نرفضه . ومن الناحية الأخرى فكل من يرفض حكم آية من القرآن الكريم أو يخرجها عن معناها العربي يمكن أن يُتَّهم بالكفر^(١) ومن لم يكفره فهو مرتكب إثماً كما نصت على ذلك قواعد أصول الفقه استناداً إلى قول الله تعالى « ومن يتولّهم منكم فإنه منهم » ، وكل من يرفض حديثاً ثبتت صحته عن المسلمين بالسند الصحيح فهو كمن كذب القرآن لقوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقوله تعالى « إن الذين يلحدون في آياتنا لا يَخْفَوْنَ

(١) لا يفهم من ذلك أننا حكمنا بكفره — ولكن نقول « يجوز اتهامه إذا ثبت إصراره على تبديل معاني القرآن الكريم » .

علينا « ، ومن كذب صريح السنة أو صريح القرآن أو أخرجه بالتأويل
الفاسد عن مراد الله به فهو كافر أيضاً. ^(١)

وإن الله لم يكلفنا أن نمدح النبي بالأشعار والأوراد ولكن أمرنا
بالصلاة والسلام عليه .

قال الفتى : وماذا تقول في آراء كبار العلماء ؟

قلت : إن تعبير « كبار العلماء » والأقطاب والأولياء وأهل الكشف
وغيرها ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، قال الله تعالى « فلا
تُزَكَّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى » ^(٢) وإن الأمي أو الطفل الذي
يملك الدليل من الكتاب أو السنة هو الناطق بالحق وإن أوسع الناس

(١) أ — ورد في تفسير الكشاف للزمخشري عن قوله تعالى من سورة طه « يوم ندعو كل
أناس بإمامهم » أى بأمهاتهم — اثباتاً لشرف الحسن والحسين ... فاعتبر لفظ « إمام »
جميع « أم » وهذا خطأ لغوي غير مقبول .

ب — و ورد في تفسير المعتزلة لقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة »
فقالوا « إلى » أى نعم وجمعها « آلاء » وناظرة أى واضحة معروفة — والمعنى أن نعم الله
ظاهرة — والسبب في ذلك أنهم ينكرون رؤية الله يوم القيامة .

ج — و ورد في تفسير الاثنا عشرية لقوله تعالى : « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ »
عن علي رضي الله عنه قال : والله ما لله نبي أعظم مني — أنا والله النبي العظيم . (تفسير
ابراهيم بن فرات الكوفي).

د — و ورد في تفسير قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »
(المائدة) يقول في « هيمان الزاد » وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله
— وذلك لتأييد عقيدتهم من أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار . فهل تعتقد أيها
المسلم أن هذا هو مراد الله من كلامه العزيز — وهل هذا التفسير تحتمله لغة العرب ؟!
(٢) سورة النجم آية ٣٢ .

شهرة إذا عارضها يحكم عليه بالجهل أو الضلال — مصداق قوله تعالى « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »^(١) وقوله تعالى « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً »^(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام « ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله »^(٣).

قال الفتى : أليس احترام المشايخ والعلماء واجباً ؟

قلت : نعم .. ولكن احترامك للشيخ شئ وأخذك الدين عنه شئ آخر يحتاج للتحفظ والتدقيق — لأنها الجنة أو النار — فقد تحترم والدك ولا تأخذ عنه الفتوى .. وكان عليّ رضي الله يقول : أعرف الحق تعرف أهله — أى أنه لا يعرف الحق بالرجال ولكن يعرف الرجال بمدى التزامهم بالحق .

إنك في الصلاة مأمور أن تطيع الإمام فلو مشى في الصلاة تمشى خلفه ولو صلى جالساً تصلى جالساً خلفه — ولكن ذلك لا يمنعك أن تصحح خطأه وتردّه فوراً عن خطئه .

ثم لا تنس يا أخى — أن التقليد دون بصيرة قد ضيع معالم اليهودية ، والنصرانية ، وضيع كثيراً من معالم الإسلام أيضاً عند كثير من الناس ، فإن كان الشيخ كبيراً عندك فتذكر أن الله أكبر وأن الحق أغلا من الرجال .

(١) سورة النور آية ٤٠ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

(٣) رواه الترمذى والدارمي

إن الله عاب قوماً فقال « وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم »^(١)
ومعنى هذا أن حبّ عجلهم الذى عبده كان مقدّماً لديهم على معرفة
الحق الإلهى فلم يستفيدوا بالنصح — فأحب شيخك ووقره مادام على
الحق ولكن لا تتخذه عجلاً أبداً ..

هذه مبادئ موجزة تحكم الحق والباطل وتحكم أنواع التفكير في دين
الإسلام ولواتبع المسلمون هذه الأوليات السهلة المعلنة مازاغ أحد ...
وما ضلّ تابع ولا متبوع ... وعلى ضوء القواعد التى لا يختلف عليها مسلم
عاقِل ندخل في تحليل ما ورد في هذه القصيدة محلّ البحث .

س : ولماذا سمّيت القصيدة بهذا الاسم ؟

أصل التسمية :

قالوا في سبب تسميتها أن المؤلف كان قد أصيب بمرض عضال لم
ينفع فيه علاج — لكنه كان يكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فراه في المنام ذات ليلة يغظيه ببردته الشريفة .. ولما قام
الرجل من نومه لم يجد مرضاً ولا ألماً — فحصلت له حالة من الإنجذاب
والهيام في حبّ الرسول وأنشأ فيه هذه القصيدة (البردة) وغيرها من
القصائد التى لا تكاد تخرج عن مضمونها .. ونحن لا نكذب هذا الخبر
فهو جائز الوقوع — وقد سمعت ممّن لا أتهم صدقه قال (أنا شخصياً
رأيت كأني في طريق مخافة فوجدت رجلاً عليه ثياب بيض فأسرعت

(١) سورة الفرقان ٩٣ .

وأمسكت بثوبه وقيل لي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلما انتهت من نومي جعلت أبكي من الهيبة والشوق والاحترام « وكثيراً ما نسمع مثل ذلك ممن لا يهتمون في صدقهم .. لكننا نقول إنه شيء يبشّر بخير ويخص صاحبه دون سواه ، ولا يعطيه حقاً معيناً ولا ميزة على غيره من الناس ، وطالما سمعنا من أهل العلم والورع « إن على المرء أن يستر كرامته كما يستر عورته » .

ونعود الآن إلى أصل الموضوع ..

تعليق على تصدير الكتاب :

في الصفحات الأولى من كتاب البردة يقول الناشر ما نصه :

« بردة المديح المباركة لمؤلفها الإمام الكامل »

من الذي قرّر أن القصيدة مباركة ؟ لقد أنشد بعض الصحابة أشعاراً جيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقل أحد أنها مباركة .

ومن الذي قرّر أن المؤلف كامل ؟ إن هذا من تزكية العباد على الله .. وقد نهى الله عنها بقوله « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون شيئاً » أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ^(١) فسمى الله كل من يزكي إنساناً على هذا النحو بأنه كذاب — وإنما يقول المرء « أحسبه كذلك ولا أزكي على

(١) سورة النساء آية ٤٩ .

الله أحداً» - وهو مصداق الحديث الصحيح «كل ابن آدم خطاء -
وخير الخطائين التوابون» . (١)

وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال :
سميت ابنتي برة (ومعناها المبرورة المباركة) فقالت لي زينب بنت أبي
سلمة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وقال :
لا تزكوا أنفسكم ، فالله أعلم بأهل البر منكم .
فقالوا : بم نسميها ؟ قال (ستموها زينب) . رواه مسلم في صحيحه .

ثم يقول :

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

ويسرد قصة في سبب وضع هذا البيت من الشعر .. أن الإمام البوصيري
أنشد القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه حتى بلغ قوله
« فمبلغ العلم فيه أنه بشر » ثم توقف فقال له الرسول إقرأ : قال
البوصيري إني لم أوفق للشطر الثاني قال له الرسول قل : « وأنه خير خلق
الله كلهم » . فالاغتراض على هذا يأتي من عدة وجوه :

الأول : ، فهما لقول الله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلاً » . والرسول صلى الله عليه وسلم من ابن آدم . ولم تقل
الآية « فضلناهم على جميع من خلقنا » .

(١) رواه مسلم .

(١) الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ولم يقل أنا سيد العالمين ، وكان ذلك في موقف يحتاج للاستعلاء بالدين الذي ختمت به الرسالات ، لكته في أكثر من موضع قبل ذلك وبعده كره أن نفضله على الأنبياء والمرسلين وأكد الأخوة ووحدة الهدف تمشياً مع نصوص القرآن الكريم في مثل قوله تعالى « لا نفرق بين أحد منهم » (٢) وقوله تعالى « ولم يفرقوا بين أجمعهم منهم » (٣).

الثالث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن مدحه في مواضع كثيرة من أحاديثه الصحيحة ، فمن ذلك قوله ، عن أنس قال : جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال : يا خير البرية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ذاك إبراهيم) رواه مسلم .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا : عبد الله ورسوله) رواه البخاري ومسلم .
أما قوله « لما يروى » ففيه دلالة على ضعف السند بسبب البناء للمجهول .

فمن الذي روى ؟

وقال الناشر : إن الشيخ الفرنوي كان يقرأ القصيدة ليرى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يدل على ضعف إدراك الشيخ الفرنوي — فرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لا توضع في ميزان الأعمال ، وإن كثيراً من الذين

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٦ .

(٣) سورة النساء آية ١٥٢ .

رأوه في حياته ماتوا كفاراً ومنهم بعض أقربائه صلى الله عليه وسلم ، ثم أن الرسول لا يتوصل لرؤيته في المنام بتلاوة قصائد الشعروقد أمرنا الله بالصلاة عليه لا بمدحه ولا بتلاوة الأشعار بين يديه .. عن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم .

وقال الناشر أيضاً : « وقد أنشدها البوصيري بن يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه » .

ما الدليل على صحة هذا الكلام ؟ وهل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل في قبره الشعراء ويستمع إلى قصائد المديح ؟

قال : ثم أن الرسول أكمل له شطر البيت بقوله عن نفسه « وأنه خير خلق الله كلهم » وواضح أن هذا افتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله تعالى يقول : « وما علمناه الشعروما ينبغي له »^(١) فلا هو بشاعر ولا بكاهن ولم يقل شعراً في حياته قط فضلاً عن أن يقول له بعد أن انتقل إلى جوار ربّه عزوجل .

والآن ندخل إلى أبيات القصيدة ... إنها تبدأ بالبيت المعروف :

أمن تذكر جيرانٍ بذى سلمٍ

مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدم ؟

وهذا من أعذب الشعرومن أكذبه أيضاً .. لأنه يزعم أن مجرد تذكرة

(١) سورة يس آية ٦٩ .

لهؤلاء الجيران جعل دموعه تنزل مختلطة بالدماء — وليته فعل ذلك على
المجازر التي حصلت في أيامه من عدوان الكافرين على حرمة المسلمين،
أو من المجاعة التي حصلت للناس في أبن حياته .

وتمضي القصيدة على هذا النحو مشتملة على حكم جيدة ، بعضها يرتبط
بأداب الإسلام كقوله مثلاً :

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على

حبّ الرضاع وإن تطفمه ينفطم

و كقوله :

فخالف النفس والشیطان واعصمهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

لكننا إذا أتينا إلى صفحة (١٠) نجده يقول :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولا له لم تخرج الدنيا من العدم ؟

ومعنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجاً لضرورات المعيشة
الدنيوية ، لأن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله هو شخصياً .

وهذا كلام جرئ لا يعرفه المسلمون ، ولا يقوم عليه دليل .. فهو عليه
الصلاة والسلام محتاج لضرورات الحياة ، وكان يجوع ويتألم ، وعرض
ويصح ، لقوله تعالى : « إنما أنا بشر مثلكم »^(١) أي غير مختلف عنكم

(١) سورة الكهف آية ١١٠

في التكوين البشري ، وقوله جلّ في علاه : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »^(١) أما الزعم بأن الدنيا لم تخلق إلا لأجل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — فهو مناقض للقرآن الكريم حيث يقول : « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون »^(٢) ولم يقل إلا لأجل محمد ، إنما خلقت الدنيا وخلق النبي صلى الله عليه وسلم والكائنات لعبادة الله تبارك وتعالى ، قال تعالى «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والأصال»^(٣) ، ونحن نأسف إذ نجد مسلماً يخترع من عند نفسه هذه المعاني الخطيرة المغلوطة فعن زياد بن حدير قال : « قال لي عمر رضي الله عنه هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلّين » رواه الدارمي .

ثم قال الشاعر :

محمد سيد الكونين والثقليين

والفريقين من عرب ومن عجم

إن الكونين هما السماوات والأرضين (فيا نعلم والله أعلم بحقيقة الأكوان) ، وسيد الكونين هو الله عز وجل — فإن أراد الشاعر أن يكون مؤدباً مع رسول الله فقد أساء الأدب مع الله سبحانه وتعالى ومع رسوله أيضاً ، لأنه خالف هديه الكريم .. فعن مطرف بن عبد الله قال : قال

(١) سورة الفرقان آية ٢٠

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦

(٣) سورة الرعد آية ١٥

أبي : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً » فقال : « قولوا بقولكم — أوبعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه النسائي — فكأنه كره المديح الذي هو أدنى بكثير مما قاله البوصيري .

قال تعالى « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » ^(١) فهل هم يفعلون ما يأمرهم به الله تبارك وتعالى أم ما يأمرهم به النبي ؟ وهل كان الأمر الصادر لملك الموت الذي وكل بقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم صادراً عن الله أم عن سواه ؟ ... هذا الكلام كله من الغلو والمبالغات التي يابهاها الله ورسوله والمؤمنون .

ثم يقول :

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفاً من البحر أو رشفاً من الدير

نحن لم نعرف أن النبي ولا أحداً من أهل العلم قال إن الأنبياء والمرسلين التمسوا العلم والفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هم ملتمسون ذلك من الله تبارك وتعالى — فهو الذي بعثهم وكلفهم وعلمهم وزكاهم واصطفاهم — ثم ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلفه وأدبه ، وقال سبحانه في ذلك : « هو الذي بَعَثَ في الأميين رسولاً منهم يتلوا

(١) سورة النحل آية ٤٩

عليهم آياته .. الآية » ، ^(١) وعن عبدة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : « فعن معادن العرب تسألونني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » رواه البخاري .

بل إن عكس هذا المعنى هو الصحيح ، وهو الذي تهدينا إليه الآيات الكريمة .. فإن الله كلف محمداً صلى الله عليه وسلم باتباع نهج الأنبياء السابقين في مثل قوله تعالى : « الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا قوماً ليسوا بها بكافرين .. أولئك الذين هدى الله فبها هم اقتده » ^(٢) أي اقتدِ يا محمد بما هدينا به الأنبياء ، وقوله تعالى : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » ^(٣) لكن البوصيري يقول اقتدوا أيها السابقون بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فأياها نصدق ؟

ثم تمضي القصيدة فتقول :

وواقفون لديه عند حدهم

من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

هذا الوصف ينبغي أن يكون لموقفهم من ربهم لا من محمد صلى الله عليه وسلم فليته قال ما معناه وواقفون بين يدي الله عند حدهم — أي في

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) سورة الأنعام آية ٨٩ ، ٩٠

(٣) سورة النحل آية ١٢٣

درجة العبودية للسيد المتعالى ، وليس طبيعياً أن يكون هذا موقفهم من أخيه محمد صلى الله عليه وسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة . قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال « الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس بيننا نبي » ، وبهذا الأسلوب الأخوي الطيب كان يتحدث رسولنا عن الأنبياء السابقين ، وليس كما وصف البوصيري بتلك الصورة المزرية في حق الأنبياء الكرام .

ويقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

هذا أيضاً من المجازفة والقول على الله ورسوله بغير علم ، وهو من الغلو الزائد الذي نهى عنه الرسول الكريم والذي سبق أن بينا وجه الاعتراض عليه .

وفي قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

هنا نرى الشاعر يناقض نفسه — لأنه يأمرنا أن لا نبالغ في وصف الرسول أو نرفعه عن درجة العبودية إلى الألوهية كما ادعت النصارى ،

(٩) رواه مسلم .

ولكنه في نفس الوقت يرفع الرسول عن درجة العبودية حتى يجعله مشاركاً لله في سبب وجود العالم وأنه سيّد الكونين والثقلين وأن الدنيا ما خلقت إلا لأجله ، فماذا أبقى الله من سلطان في الكون ؟ إن النصرارى لم تبلغ بعيسى عليه السلام هذا المبلغ بل ادعوا أنه ابن الله ، ولم يدعوا ما ادعاه البوصيري من مثل هذه المجازفات التى ذكرنا بعضها وسنأتى على باقىها .

يقول :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتّصلت من نوره بهم

ومعنى هذا أن كل الآيات والمعجزات التى جاء بها الأنبياء السابقون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما جاءتهم عن طريق اتّصالهم بنوره صلى الله عليه وسلم .. وهذا خطأ فادح وتكذيب لنصوص القرآن الكريم ..

أرأيت إلى قول الله تعالى : « وأوحينآ إلى موسى أن ألقِ عصاكَ فإذا هي تلقفُ ما يأفِكُونَ » هل كان إتصال موسى بوحى الله مباشرة أو كان بتوصيلة أخرى من نور محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وبالمناسبة فإن فكرة النور هذه واردة في الفلسفات القديمة حيث يعتقدون أن الروح تنتقل من شخص إلى آخر - وقد بنوا عليها فكرة الحلول - وتناسخ الأرواح .. أما أن تدعو الله أن يجعل لك نوراً فهذا حسن وقد ورد الأمر به في قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً واجعل لى نوراً ... » (الحديث رواه البخاري ومسلم) .

(١) سورة الأعراف آية ١٧٧

ويقول البوصيري أيضاً :

لا طيب يعدل تراباً ضمَّ أعظمه طوى لمنتشق منه وملثم

أي أن التراب الذي دفنت فيه عظام رسول الله صلى الله عليه وسلم — هذا التراب له رائحة عطرية لا نظير لها — والدرجات العالية تكون لمن يستنشق هذا التراب أو يقبّله — نقول : على فرض أن هذا صحيح — فهل أمرنا الله أو أمرنا الرسول أن نستنشق التراب من عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو أن نقبل التراب لأي سبب من الأسباب ؟ وهل هناك دليل على شرعية هذا العمل أو أنه نوع من تقديس الجماد الذي هو مدخل للوثنية ؟ ومن الطريف أنني عندما زرت بلاد الهند كنت أجد المدينة الواحدة غاصة بالقباب — قباب المعابد فهذا معبد للمشركين والوثنيين وهذا قبر شيخ من المسلمين أقيم عليه مسجد على بعد أمتار من الأول — وأشهد لقد رأيت الناس في كلا المعبدتين يقومون بأعمال متشابهة — فالمشرك هناك يبدأ الزيارة بتقبيل العتبة والتراب الموجود عليها ، ثم يدخل خاشعاً ويطوف بالقبر أو التمثال ثم يدعو ويتضرع ويركع أو يسجد ، ثم يقدم الهدايا للأبقار والقردة أو الماعز الموجودة في الداخل ثم يتراجع بظهره ويقبل التراب مرة أخرى ويخرج .. والمسلم يفعل مثل ذلك تماماً ثم يقدم النذر للشيخ ويقبل التراب ثم يتراجع ويخرج ، فهل الشيخ البوصيري هو الذي نقل عن هؤلاء أم هم الذين تأثروا بقصيدته ؟ وهل غابت عن الشيخ شروط زيارة المقابر في دين الإسلام من أنه لا يجوز الركوع والسجود إلا لله تعالى ، ولا يجوز الطواف إلا بالكعبة ، ولا يجوز تقبيل الأرض ، ولا يجوز النذر هناك ، ولا الصلاة ولا الطلب ولا

التمسح ولا تجوز الصلاة في مسجد أقيم على قبر بل يهدم الأحدث منها ،
في أشهر الأقوال وهل غاب عن « الإمام » كل ذلك أم أن الطريقة
التي تلبّست به قد أنسته الفقه أيضاً ؟

وفي صفحة ١٩ من كتاب البردة يقول البوصيري :

أقسمت بالقمر المنشق أن له من قلبه نسبة مبرورة القسم

ومعنى هذا أن الشاعر يقسم بالقمر أن لرسول الله انتساباً يجعله مبرور
القسم .. وهو أسلوب فيه غموض لكن الاعتراض على الحلف بالقمر .
وهذا مخالف لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : « من
حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذي . إن الله يقسم بما شاء على ما
يشاء ، ولكننا نحن العباد لا نخلف إلا بالله تعالى . عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحلفوا بالطواغيت ولا
بآبائكم » ^(١) لأن المحلوف به عادة له صفة العبادة ، ولا معبود بحق إلا الله ،
فهل يجهل « الإمام » هذه البدييات ؟

وفي صفحة ٢٠ يقول :

ماسا مني الدهر ضيماً واستجرت به إلاً ونلت جواراً منه لم يُضم

نقول ليس شرطاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل من استجار
به يحيره ولا كل من استشفع به يشفع له — فالأمر كما قال صلى الله عليه
وسلم « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيّه ما أحب » أن الأمر
لله وليس للنبي صلى الله عليه وسلم .

(١) رواه مسلم

ويقول أيضاً :

ولا التمت غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم

إن غنى الدارين لا يلتبس من يد النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يلتبس من الله تعالى . قال تعالى « وقال ربكم ادعوني استجب لكم »^(١) وقال تعالى أيضاً « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »^(٢) وقال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ... الآية »^(٣) ورسول الله لم يعلمنا أن نسأله ولم يعدنا أن يضمن العطاء لأحد بل الله يقول على لسانه « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً »^(٤).

وفي ص ٢٦ يقول :

وقدَّمَتِكَ جميعُ الأنبياء بها والرسُلُ تقديمُ مخدومٍ على خديمٍ وأنت تخرق السبع الطباقي بهم . في موكب كنت فيه صاحب العلم

والمعنى أنه في ليلة الإسراء قدَّمَتِكَ الأنبياء جميعاً وهم خديم لك وساروا خلفك في موكب عظيم تخرق بهم السموات السبع تتقدمهم وتحمل الراية أمامهم ، هذه المظاهر لم تحدث بهذا الشكل - فكل المسلمين يعلمون أن رسول الله أسرى به إلى بيت المقدس حيث التقى بالأنبياء

(١) سورة غافر : ٦٠

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

(٣) سورة يونس : ٣١

(٤) سورة الجن : ٢١

وصلى بهم إماماً ، ثم عُرجَ به إلى السماء .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عُرجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم^(١) . فيتضح من هذا الحديث الشريف أن معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع جبريل عليه السلام وليس معهما الأنبياء .. أما التصريح بأن جميع الأنبياء خدم لنبيتنا محمد فهذا ما لا يقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بموجب ما وصل إلينا من أحاديثه الشريفة في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات أمهاتنا شتى وأبونا واحد »^(٢) فهو هنا يؤكد الأخوة معهم وليس السيادة عليهم . ويقول أيضاً : « مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون ما أحسنه لولا موضع هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »^(٣) .

فهو هنا يوضح أن دار التوحيد والإسلام بدأ بتشيدها إخوانه عليهم السلام وما هو إلا لبنة في هذا البناء الكبير، فكيف جاز للبوصيرى أن يركبه الغلو الشديد حتى يصف الأنبياء بأنهم خدم والله تعالى يقول : « لا تُفرِّقُ بينِ أحَدٍ منهم ونحن له مسلمون »^(٤) .

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة

(٤) سورة البقرة : ١٣٦

ويقول جلّ وعلا : « ثم أوحينآ إليك أن اتبع ملّة ابراهيم حنيفاً ولم يك من المشركين »^(١). ولماذا يصرّ الشاعر على الخط من قدر النبيين والمرسلين لكي يقرّر أشياء في إطراء رسولنا — لا فائدة منها للدعوة بل هي عظيمة الضرر بالنسبة لعالمية الدعوة ؟

قال الفقى :

أيها الأستاذ : إنك تهاجم البوصيرى والرسول يقول « اذكروا محاسن موتاكم » !!

قلت : الحديث صحيح ، ونحن لا نهاجم البوصيرى وإنما نهاجم كل فكر يتعارض مع هدى الله الذى أنزله إلينا حسبما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا كان الميت قد افضى إلى ربّه دون أن يترك أثراً ضارّاً فلنذكر الخير عنه حتى تبقى الثقة والخيرية في الناس .

أما إذا كان قد ترك مدرسة فكرية ضارة أو قدوة سيئة تتبع فلا بدّ من التحذير من فكره وعمله ، وذلك واجب لأنه من هداية الناس للحق ، ألا ترى أن القرآن الكريم نعى على فرعون وهامان وأبى لهب — بل إنه أشار إلى ما عوتب فيه الأنبياء أنفسهم — وإن قصص القرآن الكريم تدور حول قضية الحقّ والباطل .

وفي صفحة ٣٤ يقول الشاعر :

فإن لى ذمة منه بتسميتى محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

(١) سورة النحل : ١٢٣

فما هذه العلاقة الضعيفة التي يتشبث بها الشاعر؟
فهل صارت له ذمة عند رسول الله مجرد أن اسمه مطابق لاسمه صلى الله عليه وسلم؟

ما أكثر الذين تسمّوا بإسم محمد وهم من العصاة والفسّاق والنبى صلى الله عليه وسلم برئ منهم ، إلى أعرف رجلاً في لبنان سمى ابنه محمداً وهو غير مسلم ومحارب للمسلمين ، فهل له ذمة عند رسولنا بسبب هذه التسمية أيضاً؟

فالارتباط بالرسول صلى الله عليه وسلم أساسه الإيمان والعمل الصالح لقوله لفاطمة : « يا فاطمة بنت محمد اعلمي فإنني لا أغني عنك من الله شيئاً »^(١).

ثم يقول :

إن لم يكن في معادي اخذاً بيدي
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

وفي ذلك يعتمد الرجل اعتماداً كلياً على غير الله — وإلا فقد راح في داهية .. حسب اعتقاده وزلت قدمه إلى النار .

ماذا يقول الإنسان في عقيدة هذا الرجل — أتدري ما يوم المعاد ؟ إنه يوم الدين الذي يقول الله في شأنه « وما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذٍ لله » ونحن نقول في اليوم والليلة ١٧ مرة — « مالك يوم الدين .. الآية » .

(١) رواه مسلم في صحيحه .

قال الفتى : إذن أنت تنكر الكرامة والشفاعة ؟

قلت : إن الكرامة حق ولكن على من تحصل له أن يحفظها ولا يتاجر بها على أحد .. وإن الشفاعة حق ولكنها مقيدة بأمرين :-

الأول : أن يأذن الله للشفيع (وقد لا يأذن له) لقوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »^(١).

الثاني : أن يقبل الله الشفاعة أولاً يقبلها لقوله تعالى « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »^(٢).
لذلك لا يجوز لمسلم أن يتهاون في أمر الله اعتماداً على موضوع الشفاعة .

عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليرفعن لي ناس من أصحابي حتى إذا عاينتهم ورأوني اختلجوا دوني فلاقولن : يارب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » . أخرجه البخاري . ومعنى أصحابي هنا أي أتباع دين الإسلام - وفي رواية « فأقول ألا سحراً سحراً » . وكان رسول الله في حياته يرفض الشفاعة في حدود الله - وإن جاءت من عزيز لديه .

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن الخزومية التي سرفت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه غير أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلّمه أسامة فقال : (أتشفع في حدة من حدود الله ؟) ثم قام فخطب : (أيها الناس

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

إنما هلك الذين من قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) أخرجه مسلم .

هذه أيها الإخوة هي المقاييس الصحيحة للإعتقاد الحق ، وهذه هي ضوابط المسؤولية والجزاء وليست مقاييس المغالين .

ويمضي البوصيري في ص ٣٥ في هذا الطريق فيقول :

يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذه سواك عند حلول الحادث العمم

فنقول له إن اللياذ يكون بالله رب العالمين – الذي يقول عند ما يحل الحادث العمم : لمن الملك اليوم ؟ « لله الواحد القهار » . ألم يقرأ هذا الشاعر قوله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « قل إني لن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاً تِيهِ » ^(١) .
إن اللوذ والاستغاثة تكون بالله دون سواه .

ويقول في نفس الصفحة :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

أي أن الدنيا وضرتها الآخرة كلتاها حصلتا من جودك يا محمد ، وإن علم اللوح وعلم القلم هما من بعض علومك يا محمد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) هل سمعتم عدواناً على مقام الله أكبر من هذا ؟ إن الدنيا والآخرة من جود الله سبحانه وفضله ، قال الله تعالى : « ليس لك من

(١) سورة الجن آية ٢٢

الأمر شيء»^(١). وقال تعالى : « إن كل من في السماوات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً »^(٢) وقال تعالى : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً »^(٣) وقال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »^(٤)

وقال تعالى : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »^(٥) — فالجزم بأن خلق الدنيا والآخرة كان من جود محمد صلى الله عليه وسلم أولاً جله أمر لا يحتمل .. لأنه مناقض تماماً لآيات الكتاب الكريم ، وكذلك قوله أن علم اللوح والقلم من علومك — هذا يناقض قول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول »^(٦) وقوله تعالى « ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء »^(٧) أي أن علم الله عظيم جداً وقد يسمح ببعضه لمن يشاء .. وقوله تعالى « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »^(٨) وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنني السوء »^(٩) وقوله تعالى « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله »^(١٠) وقوله تعالى « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب .. الآية » .

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| (١) سورة آل عمران آية ١٢٨ | (٧) سورة البقرة آية ٢٥٥ |
| (٢) سورة مريم آية ٩٣ | (٨) سورة لقمان آية ٢٧ |
| (٣) سورة الملك آية ٢ | (٩) سورة الأعراف آية ١٨٨ |
| (٤) سورة الذاريات آية ٥٦ | (١٠) سورة النمل آية ٦٥ |
| (٥) سورة ص آية ٢٧ | (١١) سورة الأنعام آية ٥٠ |
| (٦) سورة الجن آية ٢٦ | |

وقد ابتلى رسول الله في نفسه وأهله في حادث الإفك ، ابتلى كإنسان وكنبي وظلّ يسأل الشهود . واستمرت المحنة عليه وعلى المسلمين قرابة أربعين يوماً حتى نزل الوحي ببراءة زوجته — ولو كان يعلم علم اللوح والقلم ماتعرض لمثل ذلك .

أيها المسلمون : لاندري لماذا يقوم كل يوم رجل علينا بنعمة جديدة أو بصوت يطلقه في دار الإسلام ليضلّ الناس بعلم أو بغير علم .. ولمصلحة من هذا ؟ أعتقد أنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً لعاقب من يقول بهذا الكلام . فعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه .

وفي ص ٣٦ يقول :-

لعل رحمة ربّي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم

يقول الشاعر :- ربّما تجري قسمة الرحمة الإلهية يوم القيامة على حسب العصيان — فمن كانت معاصيه أكثر تناله رحمات أكثر ومن كانت معاصيه قليلة تناله رحمات قليلة ، فكأنه يطمئن كبار المجرمين في العالم ويقول بشراكم يا أيّها القتلة والمشركون فمن المحتمل أن يختصكم الله بأكبر قدر من الرحمة ، أو بما هو أكثر مما يخصّ به الطائعين العابدين — فهل هذا هو مقتضى العدل الإلهي عند البوصيري ؟ أم هو مقياس معكوس ؟ أريد أن يقنعنا أن الذي بقي أربعين سنة قانتاً لله يقول بعد كلّ صلاة (اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم) سوف يحرم من رحمة الله — ويعطاها الذي لم يسجد لله سجدة ؟ ويكفي أن هذا الكلام الخاطئ يناقض قوله تعالى « فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم

هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »^(١) وقوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »^(٢) ويقول أيضاً : « أفنجعل المسلمين كالجرمين ما لكم كيف تحكمون »^(٣).

ثم تمضى القصيدة فيقول الشاعر :

بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم

والمعنى أن الرجل يقسم بجاه النبي صلى الله عليه وسلم الذي بيته في المدينة هو الحرم وأن اسمه قسم من أعظم الإيمان على الله — وهذا خطأ كما أشرنا إليه آنفاً فالحرم الذي في المدينة هو المسجد وليس البيت — وإن اسم النبي لا يصلح أن يكون قسماً وإنما القسم يكون باسم الله تعالى .

وفي قصيدة أخرى سمّاها المحمدية يقول :

محمد زينة الدنيا وبهجتها محمد كاشف الغمات والظلم

ونقول أيضاً .. إن محمداً لا يستطيع أن يكشف الغمات في حياته أو بعد مماته — إنما الذي يملك ذلك هو الله عز وجلّ وقد تعرض صلى الله عليه وسلم لأنواع من الغمات والظلم وكان يسأل الله أن يكشفها عنه فأحياناً يعينه الله فيكشفها عنه ، وأحياناً ينزل القدر والقضاء والبلاء به وبأصحابه كما هي سنة الله في خلقه ... وحتى في مرض موته كانت

(١) سورة النازعات آية ٣٧

(٢) سورة الزلزلة آية ٧

(٣) سورة القلم آية ٣٥ .

فاطمة تكشف عن وجهه الشريف وتقول : وا كرب أبتاه .. فلم يستطع
أن يكشف عن نفسه كرب المرض ... وكان يقول :

« إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم » .

والمسلم لا ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه زينة أو بهجة ،
وإنما على أنه رسول أنزل الله عليه رسالة عظيمة وقولاً ثقیلاً يجب أن يحترم
ويطاع .

الفنون الأصيلة :

إننا بصدد رسالة تؤخذ بقوة لا بصدد فنون جميلة ومما يؤسف له أن عامة
الناس (وبعض الغافلين من أهل العلم) تخدعه الفنون الجميلة عن
الفنون الأصيلة — ويسير وراء السجع أو الطرب أو الجمال بفروعه
المختلفة إلى أن ينسى حقائق الدين الواضحة .

لقد حدث أن ناقشت أحد المسلمين فيما تضمنته هذه القصيدة من
مخالقات شأنها في ذلك شأن كثير من القصائد التي يرسلها الغافلون ويتغنى
بها أهل الفنون .. فقال : هل تعترض على من يمدح رسول الله ؟ قلت :
نعم .. إذا كان هذا المدح مخالفاً لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
واتفق أن حضرت مناقشة بين أحد الدعاة وبين شيخ معروف كان
يشغل وظيفة وزير الأوقاف في بعض البلاد العربية .

قال الشيخ :

إن وفاة السيدة أم كلثوم تعتبر خسارة كبيرة على الأمة العربية

فطالما أسعدت الجماهير بصوتها العذب وأغانها الرائعة .

قال الداعية :

لا يخفى على فضيلتكم أن صوت المرأة عورة وأن الاستماع إلى القينات والمغنيات أمر لا يحلّ للرجل المسلم .

قال الشيخ :

نعم ولكني والله أتأثر كثيراً وتأثر الملايين معي عندما أسمع منها قصيدة نهج البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الداعية :

ترى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً — هل كان يسمح لهذه المغنية أن تمدح في ذلك الملأ بهذا الصوت وتلك الملابس أمام الرجال ؟

قال الشيخ :

دعنا من هذا الجدل — وانتفض قائماً .

قال الفتى :

وإذا أراد إنسان أن يستبعد الآيات محلّ الاعتراض فهل له أن ينتفع بما بقي من قصيدة البوصيري ؟

قلت :

نعم .. فالخير هو هدف الإسلام .

أيها المسلم الكريم :

نحن لم نتهم سريرة أحد وليس لنا إلا ما ظهر — وأنت يا أخي لا تتهم سريرة إخوانك فوالله ما كتبنا حرفاً من هذه الرسالة إلا حُبّاً لله وحُبّاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ودفاعاً عن سنته وهديه ، فإن رأيت في قولنا غير الحق فأرشدنا إليه ، يرحمك الله .

واستمع إلى قول الله تعالى لكلّ أتباع الرسالات « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ » .

ونحن نقول : جزى الله كلّ الكاتبين والقراء عن حبّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً — ولكننا لانقر أحداً على العدوان على مقام الألوهية — أو إضفاء شيء من الأسماء والصفات الإلهية على غير الله سبحانه وتعالى ، وعند ذلك نقف في وجوههم ونرفع الصوت بقوله تعالى « وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ » ونقول للذين يزعمون الدفاع عن مقام الرسول « إِنَّا نَدَافِعُ عَنْ مَقَامِ اللَّهِ أَوَّلًا وَمَقَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا » .

نسأل الله أن يهدينا جميعاً سَواء السبيل ، وأن يؤلف بين قلوب المسلمين وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الفقير إليه تعالى

عبد البديع صقر

تم في دبي بتاريخ :

٥ ذى القعدة ١٤٠٣ هـ

١٣/٨/١٩٨٣ م

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com